المحاضرة الثالثة

الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة .

ظهر ان القدماء من العلماء لم يكونوا يفرقوا بين هذين المفهومين ، والحقيقة ان العرب لم يعرفوا هذا الاصطلاح الا في اواخر القرن الرابع الهجري ، عند احمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) ، واستمر الخلاف في الفصل بين المفهومين وابوابهما حتى العصر الحديث ومن ذلك قول الاستاذ الدكتور صبحي الصالح، الذي قال في كتابه (دراسات في علم اللغة): "من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة و فقه اللغة لان جل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق و الغرب، قديما و حديثا، الا ان هناك من ميز من المحدثين بين العلمين ومنهم -كمال بشر الذي يذهب إلى أن مصطلح (فقه اللغة) كان يعني في القديم نوعين رئيسين من الأبحاث اللغوية ، يشمل أولهما : البحث في المعجمات وما إليها ، بالإضافة إلى مشكلات المفردات من حيث معانيها وأصالتها وسماتها وترادفها ونحتها واشتقاقها وصورها المجازية والحقيقية ، ويتضمن الثاني الدراسات العامة التي تعدّ مقدمة للعلوم أو ممهدة لها : كالكلام على اللهجات ووظيفة اللغة وأصلها ومصادرها وفكرة القياس والتعليل . ثم يقول : " أما في الحديث فلم يزل فقه اللغة يعني البحث في هذه القضايا وأضرابها ، غير أن بعض الدارسين يخلطون بينه وبين علم اللغة بالمفهوم الجديد ، فيطلقونهما في مناقشاتهم كما لو كانا مترادفين ، وهو خلط واضح . ففقه اللغة بمفهومه القديم أو الحديث لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس في علم اللغة ، وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام علم اللغة ، وقد ظهر ذلك بعد دعوة دي سوسير الى ذلك وفق منهج علمي موضوعي يتمثل بدراسة اللغة بذاتها ولذاتها وبين المنهج التاريخي .

جهود العلماء في جمع اللهجات العربية .

بدأ العلماء القدامى بتدوين اللغة بعد انتشار الاسلام ودخول اقوام غير عربية فيه وكثرة اللحن التي اوجبت تقعيد اللغة وفق ضوابط معينة ، ومع غموض معاييرهم الا ان الاكثر كان اعتمادا على القران الكريم اولا والحديث الشريف والشعر والنثر من كلام العرب .

:أولًا: القرآن الكريم
أما القرآن فلا خلاف بين جمهور العلماء في الاستشهاد به، ولو بالشاذ منه؛ قال البقرة: ٧]: والكتاب أعربُ]) وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ (:الفراء في قوله تعالى .وأقوى في الحجة من الشِّعر

وقال ابن جني في الشاذ من القراءات: وضربًا تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذًّا؛ . أي خارجًا عن قراءة القراء السبعة ،

وقال السيوطي: أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاجُ به في العربية، سواء أكان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذًّا، وقد أطبق الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معلومًا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجُزِ القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته .القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو: استحوذ، ويأبى

:ثانيًا: الاحتجاج بالحديث الشريف
أما الحديث فقد انقسموا فيه إلى فريقين: فريق يمنع الاستشهاد به في مسائل اللغة، وحجَّتهم في ذلك أن الأحاديث يجُوز روايتها بالمعنى، كما أن كثيرًا من الرواة كانوا .من المولَّدين الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن

أما القلة ممن يجوِّزون الاستشهاد بنصوص الأحاديث في مسائل اللغة، فحجتهم أنه إذا جاز اللحن في رواية الحديث، فكذلك يقال في رواية الأشعار، بل إن احتمال اللحن في رواية الأشعار أكثر؛ وذلك لأن الوازعَ الديني يساعد على تذكر نصوص .الأحاديث، ويعمل على صيانتها من أي انحراف
على أنه توجد طائفة من العلماء قد توسطوا في ذلك، فجوَّزوا الاحتجاج بالأحاديث .التي عُنِي بنقل ألفاظها

:فالمانعون يحتجُّون بأمرين
١. أن الأحاديثَ لم تُنقَل كما سُمِعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رُويت .بالمعنى

٢. وأن أئمةَ النحو المتقدمين من البصرة والكوفة لم يحتجُّوا بشيء منه

:وقد رد المُجوِّزون على الأمرين فقالوا
• إن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب وهم ممَّن يُحتج بهم؛ لأنهم في عصور الاحتجاج، وغايته تبديل لفظ بلفظ، وهذا يصحُّ الاحتجاج به.
• وأنه لا يلزم من عدم استدلال المتقدمين بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به.

.

:ثالثًا: الاستشهاد بالشِّعر
:قسم العلماء الشعراء إلى طبقات
١. طبقة الجاهليين: كزُهير وطَرفة وامرئ القيس وعنترة والنابغة وغيرهم .
٢. طبقة المخضرَمين، وهم الذين شهِدوا الجاهلية والإسلام: كحسان ولَبيد والخنساء وكعب بن زهير .
٣. الإسلاميين، وهم المتقدِّمون الذين كانوا في صدر الإسلام: كجَرير والفرزدق والأخطل .
٤. المولَّدين، ويقال لهم المُحدَثون، وهم مَن بعدهم إلى زماننا: كبشَّار وأبي نُواس .
فالطبقتانِ الأُوليان يستشهد بشِعرهما إجماعًا، وأما الثالثة فالصحيحُ صحةُ الاستشهاد بكلامها.

وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبدالله بن إسحاق والحسَن البصري وعبدالله بن شبرمة يُلحِّنون الفرزدق والكُميت وذا الرمة وأضرابهم في عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهرًا، وكانوا يعُدونهم من المولَّدين؛ لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب.

قال ابن رشيق: كلُّ قديم من الشعراء فهو مُحدَث في زمانه بالإضافة إلى مَن كان قبله. وكان أبو عمرو يقول: لقد أحسن هذا المولَّد، حتى لقد هممتُ أن آمر صبياننا برواية شعره - يعني بذلك جريرًا والفرزدق - فجعله مولَّدًا بالإضافة إلى شِعر الجاهلية والمخضرَمين، وكان لا يعُدُّ الشعر إلا من المتقدمين، قال الأصمعي: جلستُ إليه عشر حِجَجٍ فما سمعتُه يحتجُّ ببيت إسلامي.

وأما الطبقة الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقًا، وقد يُستشهد بكلام مَن يوثق به منهم، واختاره الزمخشري؛ فإنه استشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع، وقال: وهو وإن كان محدَثًا لا يُستشهَد بشعره في اللغة، فهو مِن علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليلُ عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك بروايتِه وإتقانه.

.

رابعًا: الاستشهاد بالنثر:
حين تعرَّض العلماء للاستشهاد بالنثر نجدهم ذكروا قبائل بعينها يؤخذ عنها ويستشهد بكلامها، وطرحوا أخرى لا يتعرضون لها ولا يحتجُّون بكلامها.

لقد ذكَر السيوطي في كتابيه الاقتراح والمزهر أن أبا إبراهيم الفارابي حدَّد في كتابه الألفاظ والحروف أسماء القبائل التي يُحتَج بكلامها، وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع عنها، فقال: كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانةً عما في النفس، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين كلام العرب، هم: قيس وتميم وأسد؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه، وعليهم اتُّكِل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضَري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائرَ الأمم الذين حولهم.

فإنه لا يؤخذ لا من لخم ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصرَ والقِبط، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تَغْلِب والنمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبدالقيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والحبشة، ولا من أزد عمان؛ لمخالطتهم للهند والفُرس، ولا من أهل اليمن أصلًا؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجارَ الأمم المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقُلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

وعلى هذا الأساس نجد ابن جني قد بوَّب فصلًا في كتابه الخصائص بعنوان: "ترك الأخذ عن أهل المدَر كما أُخذ عن أهل الوبَر"، وهذا يعني أن العلماءَ أخذوا يقسمون اللغة إلى بدوية وحضرية، ويُعْنَوْنَ بالأولى ويحتكمون إليها، ويطرحون الثانية ولا يستشهدون بها .